دراسة تحليلية لبعض الخصائص النفسية الاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع

أ. د. أيت حمودة حكيمة
أ. أيت حمودة ديهية
قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا
جامعة الجزائر2

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تقديم وصف تحليلي لبعض الخصائص النفسية الاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع، وذلك من خلال معرفة من هم أطفال الشوارع؟، وما هي الدوافع التي تجعل الطفل يترك البيت الأسري ويعيش في الشارع؟ و ماذا يفعل هذا الطفل في الشارع، إلى أين يذهب، كيف يعيش؟ وما هي عواقب وخطورة هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع؟، وتطرقنا في الأخير إلى عرض بعض التوصيات والاقتراحات لمواجهة هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الطفولة، أطفال الشوارع، المعاش النفسي التربوي والاجتماعي.

1- مقدمة وإشكالية الدراسة:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو وأكثرها أثرا في حياة الإنسان، كما يعتبر الاهتمام بدراسة الطفولة اهتماما بالمجتمع ذاته وبتقدمه، فأطفال اليوم هم شباب الغد وبقدر إعدادهم الإعداد السليم للحياة، يتوفر للأمة التقدم والحضارة والمستقبل، وإن الحكم على المجتمع ليس فقط بما يتوفر لديه من إمكانيات مادية ولكن أيضا بقدر ما يتوفر لديه من ثروة بشرية.

ومن المعروف أن لكل مرحلة من مراحل النمو حاجات ومتطلبات نفسية واجتماعية ومادية لا بد من تلبيتها وإشعار من هم في هذه المرحلة باهتمام المجتمع بتلبيتها، والطفولة مرحلة من هذه المراحل لها متطلباتها وحاجاتها وغالبا تنشأ المشكلات بسبب عدم تلبية تلك الحاجات والمتطلبات.

وهنا تبرز الخطورة وضرورة احتواء هذه الفئة الاحتواء المناسب وإلا أفرزت مخاطر نفسية واجتماعية كبيرة.

يرى عباس محمود عوض (1999) بأن خبرة الطفولة مسئولة بدرجة كبيرة عن سواء أو شذوذ شخصية الراشد، ففي الطفولة يتشكل السلوك سواء كان سويا أو شاذا، فإن قابلت إنسانا سعيدا متوافقا فهي كذلك حياته في الطفولة، وإن وجدت إنسانا حياته كدر وتعاسة فهي كذلك كانت طفولته، فالدعائم الجوهرية في حياة الإنسان البالغ الراشد هي نتاج طفولته.

فعندما نتأمل أوضاع الطفولة داخل المجتمع نجد أن هناك فئات من الأطفال مازالت تعاني من الإهمال، أطفال تعيش في ظروف صعبة تتعرض فيها لمختلف أنواع الحرمان والأخطار والاستغلال والحرمان من التمتع بالطفولة ومباهجها، وهؤلاء الأطفال هم من اصطلح على تسميتهم بالأطفال المهمشون لأنهم محرومون من التمتع بطفولة آمنة وسليمة، ولأن حقوقهم منتهكة داخل المجتمع، وهم الأطفال الذين يعيشون بعيدا عن الحماية الأسرية والمجتمعية. وإن فئتي أطفال الشوارع والأطفال العاملة هم أكثر الفئات الاجتماعية تهميشا وإساءة.

يرى صادق الخواجا (2001) بأن مفهوم أطفال الشوارع يرتبط بالأطفال الذين بلا مأوى، ويبيتون في الشارع، والذين يتسولون أو يبيعون العلكة أو يمسحون زجاج السيارات أو ما شابه من المهن. وعن مكان إقامتهم يرى جمال حمزة أنهم الأطفال المقيمون باستمرار في الشوارع أسفل الجسور ومحطات النقل العام والحدائق العامة لظروف عائلية غير سوية.

ويضيف محمد الدريج (2001) أن العالم يشهد الآن مشكلة كبيرة ذات عواقب مأسوية لا يمكن التكهن بمخاطرها، فهناك ملايين من أطفال الشوارع يعيشون منعزلين ومتشردين، يعانون من سوء التغذية، يفتقدون العطف والتعليم والمساعدة، أطفال يعيشون على السرقة والتسول والعنف، أطفال يندمجون في عصابات ليبنوا لأنفسهم أسرا تمنحهم شعورا غير حقيقي بالأمان، أطفال يستغلهم الغير ويسيئون معاملتهم، فالشارع هم الإرث العام لهم، فتلوثهم سموم المخدرات والدعارة والجريمة. أطفال في عمر الزهور يعيشون في الشارع، يأكلون وينامون ويقضون وقتهم خارج دفء المنزل والأسرة، ويتنقلون بين الأزقة والدروب جماعات في ثياب رثة، تبدوا على ملامحهم آثار التعب سواء من الجوع أو من تناول المخدرات، ويواجههم في حداثة سنهم العنف وكل أشكال القسوة التي تصدر ضدهم من الكبار ويصبح الشارع رمزا لمحنتهم. (عن عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001)

إن ظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة مجتمعية يقتضي وضعها في سياق الأبعاد المؤثرة عليها من اقتصادية واجتماعية وتعليمية. ولقد أسهمت العديد من العوامل على تضخم المشكلة، نظرا لاعتمادها على مجموعة من المكونات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تضافرت معا، وأدت إلى زيادة مشكلة الأطفال المعرضين للانحراف، ومن أهم هذه العوامل ما يلي: الفقر، الأوضاع الأسرية، العوامل المجتمعية. (عن محمد سيد فهمي،2001)

ويضيف الدريج (2001) أن من أسباب الظاهرة الفقر، التفكك الأسري، الأحياء الهامشية كمدن القصدير، حاجة الأسرة إلى تشغيل أبنائها، العنف العائلي والطرد المباشر من الأسرة، إعادة زواج الأب أو الأم أو كليهما والتخلي عن الأبناء، الصراعات داخل الأسرة، وانتشار بعض الأمراض داخلها، وبصفة خاصة انتشار بعض أشكال الانحراف، فإدمان الأب على الخمر أو المخدرات ينعكس سلبا على حياة الأسرة بكاملها في تعامله مع زوجته، ومع مصروف البيت، ممارسة العدوانية مع أطفاله، فالقسوة المفرطة تجاه الأطفال وضربهم وتعذيبهم قد يؤدي إلى هروبهم من المنازل ليستوطنوا الشارع. (عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001)

وتتجلى خطورة ظاهرة أطفال الشوارع حسب حلمي سعيد (2001) في تهميش وإقصاء فئة من أطفالنا لحساب شارع رهيب وغير مؤطر، في مواجهة مصير مجهول وحرمان حاد من أبسط الحقوق الأساسية. كما أن جل أطفال الشوارع يتعاطون مخدرات غير مصنفة، لا ندري مضاعفتها على صحة هؤلاء الأطفال، وهم مهددون بشتى أنواع الانحراف، ومؤهلون للانتقال من الانحراف إلى الجريمة بتلقائية، فهم طعم سهل لمحترفي الجريمة ومروجي المخدرات. وهنا تأتي الصيغة الاستعجالية لمواجهة الظاهرة قبل فوات الأوان.

2- تساؤلات الدراسة: إن وجود ظاهرة أطفال الشوارع تدفعنا لطرح العديد من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابة وتفسير.

- هل ترك البيت الأسري قرار اندفاعي اتخذه الطفل في لحظة ضيق وتوتر؟
- ما هي الدوافع التي تجعل الطفل يترك البيت الأسري ويعيش في الشارع ؟
- وعندما يتخذ الطفل قرار عدم العودة إلى البيت الأسري، ماذا يفعل هذا الطفل في الشارع، إلى أين يذهب، كيف يعيش، كم وقتا سيبقى خارجا؟
- ما هي الخصائص النفسية الاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع؟
- ما هي عواقب وخطورة ظاهرة أطفال الشوارع على الفرد والمجتمع؟

– هل ظاهرة أطفال الشوارع تعبير عن نداء استغاثة أم أنها مؤشر يدل على قطيعة اجتماعية؟

3. أهمية وأهداف الدراسة:

– أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان، فهي المرحلة التي توضع فيها الجذور والأصول الأولى لشخصيته، فإن ما يلقاه الطفل من خبرات سارة أو قاسية تترك بصماتها قوية في مرحلة الرشد، ولا شك أن حياة الإنسان سلسلة متصلة لحلقات يؤثر فيها السابق في اللاحق، ولذلك فالطفولة السوية تقود إلى رشد سوي والعكس صحيح.

– حماية الطفل وصيانة حقوقه في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع، مما يستوجب توجيه العناية والبحث والدرس في قضايا الطفولة والعمل على تنشئة الطفل تنشئة صالحة تحميه من التعرض للقسوة والعنف والإساءة والتشرد أو إصابته بالاضطرابات النفسية والمشكلات السلوكية والأخلاقية، مع ضرورة تدخل الهيئات المعنية لتحقيق ذلك لحماية الطفولة.

– فهم دوافع تفشي ظاهرة أطفال الشوارع لإمكانية فهم الظاهرة والتنبؤ بها وضبطها.

– إن الظاهرة عالمية وليست خاصة بدولة دون أخرى، وإنما تزداد انتشارا مما يبعث القلق لدى المسئولين لما يمكن أن يترتب عنها من سلبيات.

– إن الظاهرة معقدة ومتداخلة الأسباب والعوامل وتحتاج إلى المزيد من الدراسات التي يقوم بها خبراء ذوو اختصاصات مختلفة (اقتصاد، تربية، اجتماع، علم نفس ...الخ

4. المفاهيم الأساسية للدراسة:

1.4. مفهوم الطفولة: يعرف باركر (Barker, 1999) الطفولة بأنها المرحلة المبكرة في دورة حياة الإنسان، والتي تتميز بنمو سريع للطفل، وسعي لتشكيل الأطفال لإعدادهم لادوار البالغين ومسئولياتهم من خلال وسائل اللعب والتعليم الرسمي غالبا.(عن آل سعود، 2005)

ويشير مفهوم الطفولة حسب عفيفي (1993) إلى المرحلة المبكرة من حياة الإنسان التي يعتمد فيها على الآخرين المحيطين به، ويكون الطفل في هذه المرحلة هو الطرف المستجيب لعمليات التفاعل الاجتماعي من حوله، والتي يزود عن طريقها بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التفكير وأنماط السلوك التي تؤثر في شخصيته واستيعاب للواجبات والالتزامات المرتبطة بتوقعات الأدوار في المستقبل، وبالتالي تحدد مستوى تكامله مع المجتمع.

يحددها العيسوي (1993) بأنها المرحلة المعبرة عن الفترة من الميلاد وحتى البلوغ، كما تشير إلى الفترة الزمنية الواقعة ما بين مرحلة المهد وحتى المراهقة، وفيها يكتسب الطفل المهارات الأساسية مثل المشي واللغة بما يحقق قدرا كبيرا من الاعتماد على النفس.

ويميز عقل (1997) بين مرحلة الطفولة المبكرة والتي تمتد من السنة الثانية إلى السنة السادسة، ويطلق عليها أحيانا مرحلة ما قبل المدرسة. ومرحلة الطفولة المتأخرة، وهي المرحلة التي تمتد من السنة السادسة إلى الثانية عشر، ويطلق عليها المربون مرحلة المدرسة الابتدائية.

مرحلة ا لطفولة المبكرة: تبدأ هذه المرحلة منذ بداية سن الثالثة حتى نهاية السنة الخامسة، وهو السن التي تمكن الطفل من الالتحاق بدار الحضانة، لذا يطلق على هذه المرحلة بمرحلة الحضانة وفي هذه المرحلة تنمي لدى الطفل الاتزان العضوي والفسيولوجي، والتحكم في عمليات الخراج، كذلك تكتمل لديه قدرات جسمية جديدة، كالمشي والأكل، وقدرات عقلية؛ كالكلام والإدراك الحسي، كذلك يصل إلى درجة من النمو الحركي الواضح، فكل هذه القدرات تبعث في الطفل قوة جديدة، كما تغرس في نفوس الأطفال في هذه المرحلة كثيرا من القيم والاتجاهات الخلقية ولاجتماعية وفيها تتجدد مفاهيم الصواب والخطأ والخير والشر، ويمكن القول أن البذور الأولى لشخصية الطفل المستقبلية توضع في هذه المرحلة. (عن آل سعود، 2005)

مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة:

تبدأ هذه المرحلة ببداية التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية، وتنتهي بنهايتها حيث يشرف الطفل على الدخول في مرحلة المراهقة، ويطلق البعض على هذه المرحلة قبيل المراهقة، فتتسع بذلك دائرة بيئته الاجتماعية وتتنوع تبعا لذلك علاقاته وتتحدد، ويكتسب الطفل معايير واتجاهات وقيم جديدة، كما يصبح أكثر استعدادا لتحمل المسؤولية وأكثر ضبطا للانفعالات، ولذا كانت هذه المرحلة مناسبة لعملية التنشئة الاجتماعية وغرس القيم التربوية. (عن آل سعود، 2005)

4-2 مفهوم أطفال الشوارع: يعرف الدريج (2001) طفل الشارع هو أي قاصر أصبح الشارع له محل إقامته المعتاد ولا يجد حماية كافية. وبصفة عامة فأطفال الشوارع هم من الطفولة المحرومة وهي الطفولة التي لا يستطيع المجتمع بشكل عام تلبية حاجياتها الأساسية سواء المادية مثل الغذاء والملبس والمأوى...أو الحاجيات النفسية مثل الأمن والاطمئنان أو حاجيات تربوية مثل التعليم وما إلى ذلك من دفء وحنان وما يمكن اعتباره حاجيات ضرورية للطفل. فعدم تلبية هذه الحاجيات يصبح الطفل محروما. (عن عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001)

ويعرف أحمد صديق أطفال الشوارع من منظور معاناتهم النفسية والاجتماعية بأنهم أطفال من أسر تصدعت أو تفككت ويواجهون جملة ضغوط نفسية وجسدية واجتماعية لم يستطيعوا التكيف معها فأصبح الشارع مصيره. (عن محمد سيد فهمي،2001). ويعرف حلمي (2001) طفل الشارع هو الذي يتميز بتواجده في الشارع حتى أثناء الليل، مع الانقطاع التام أو شبه التام عن أسرته.

كما ترى عزة كريم أن طفل الشارع هو الذي يظل فترات طويلة أثناء اليوم في الشارع سواء أكان يعمل أعمالا هامشية مثل مسح زجاج السيارات، أم جمع القمامة، أو مسح الأحذية، أو بيع سلعة تافهة مثل مناديل الورق والكبريت، أو يعمل أعمالا غير قانونية كالدعارة ونقل المخدرات، أو يقومون بالتسول لجلب الرزق، أو يخالط أصدقاء السوء، أو يقوم بأعمال عدوانية تجاه المرافق العامة والمارة. وعادة ما يفقد هؤلاء الأطفال لمن يقوم بتربيتهم وتوجيههم إلى أنماط سلوكية سليمة. (عن محمد سيد فهمي،2001) ويعرف المجلس العربي للطفولة والتنمية أطفال الشوارع بأنهم الأطفال (حسب التحديد القانوني لمصطلح طفل على مستوى الأقطار العربية المختلفة) من الذكور والإناث المقيمون بالشارع (بما يشتمل عليه المفهوم من أماكن مهجورة...الخ) بصورة دائمة أو شبه دائمة، الذين يعتمدون على حياة الشارع في البقاء (بما يدفعهم للقيام بالعديد من الأعمال الهامشية) والذين يعيشون في الشارع دون حماية أو رقابة أو إشراف من جانب أشخاص راشدين أو مؤسسات ترعاهم. (عن صادق الخواجا، 2001). وهؤلاء الأطفال في كل الأحوال يصنفون تحت ثلاث أنماط من العلاقات الأسرية: (عن محمد سيد فهمي،2001)

- أطفال لهم علاقة بأسرهم ويعودون إليها للمبيت.
- أطفال اتصالهم ضعيف بأسرهم يذهبون إليها كل حين وحين.
- أطفال ليس لهم علاقة بأسرهم إما لفقدانهم بالموت أو الطلاق أو لهجر أسرهم.

5. منهج الدراسة: تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للإجابة على مختلف تساؤلات الدراسة الحالية.

السؤال الأول: هل ترك البيت الأسري قرار اندفاعي اتخذه الطفل في لحظة ضيق وتوتر؟

تشير الباحثة هنيقان (Hanigan.P 1997) أن في العديد من حالات أطفال الشوارع يتخذ قرار ترك البيت الأسري كرد فعل لضيق وتوتر عائلي، لتصبح هذه الظاهرة نمطا للتعبير عن سوء

التوافق النفسي الاجتماعي وعدم الرضا ثم الانحراف، ذلك أن الطفل لا يأخذ الإذن من والديه بل يرحل إراديا ويفضل العيش في الشارع ومغادرة البيت الأسري.

في نفس السياق، يشير حامد عبد العزيز الفقي (1984) أن "العضو المريض في الأسرة يعتبر عرضا مرضيا من أعراض الأسرة المريضة"، حيث أكدت الدراسات من جهة تأثير العلاقة بين الأبوين والأطفال على نمو شخصياتهم وعلى مظاهر النمو العقلي والاجتماعي والنفسي، ومن جهة أخرى أوضحت وجود ارتباط بين أنماط التفاعل والعلاقات الأسرية وبين ما يصاب به الأبناء من اضطرابات نفسية أو ما يتعرضون له من انحرافات سلوكية.

وفي السياق نفسه، أسفر البحث الميداني الذي أجرته الجمعية المغربية لمساعدة الأطفال ذوي الحالة غير المستقرة أن والدي أو احدهما غالبية أطفال الشارع موضوع الدراسة (95%) ما يزالون على قيد الحياة، وأنهم يدفعون أبنائهم إلى الشارع للقيام بأي عمل يمكن أن يدر عليهم بعض الدخل، لذا يلجأ هؤلاء الأطفال إلى أنشطة عديدة مثل التسول، بيع السجائر بالمفرق، بيع أكياس البلاستيك، حمل الصناديق أو مشتريات المستهلكين، مسح الأحذية، مسح زجاجات السيارات...الخ. واعتراف بعض الأطفال أنهم لا يجرؤن على العودة إلى منازلهم خوفا من تعرضهم لسوء معاملة والديهم بسبب عدم حصولهم على الدخل المنتظر منهم، كما تبين أن 82% من هؤلاء الأطفال يأكلون في الشوارع، وأن 63% ينامون في الشارع كذلك. (عن محمد عباس نور الدين، 2002)

لمرحلة الطفولة أهمية خاصة وذلك لأن الطفل يكون في مرحلة التكوين والتشكيل والإعداد، وتكون شخصيته لينة، وخبراته قاصرة محدودة وقدراته غير ناضجة، ولذلك وجبت العناية بالطفل ورعايته رعاية شاملة ومتكاملة على مستوى عدة نواحي الجسمية من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، والنفسية– الاجتماعية من اهتمام وعطف وحنان وقبول أسري، والنواحي الخلقية من خلال إكسابه القيم والمعايير، وان تخلو بيئته الأسرية من كل ما يهدد أمنه واستقراره ويدفعه للشعور بالقلق والتوتر والصراع، وأن يسودها الدفء والحب والتقدير ليشعر الطفل بأنه آمن على حاضره ومستقبله. (هادي مختار رضا، 1999).

السؤال الثاني: ما هي الدوافع التي تجعل الطفل يترك البيت الأسري ويعيش في الشارع؟

إن ظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة مجتمعية يقتضي وضعها في سياق الأبعاد المؤثرة عليها من اقتصادية واجتماعية وتعليمية. ولقد أسهمت العديد من العوامل على تضخم المشكلة، نظرا

لاعتمادها على مجموعة من المكونات الاجتماعية والاقتصادية التي تضافرت معا، وأدت إلى زيادة مشكلة الأطفال المعرضين للانحراف، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

1- الفقر: إن هناك ملايين من الناس يعيشون تحت خط الفقر، مما يجعلهم يدفعون بأبنائهم إلى ممارسة أعمال التسول والتجارة في بعض السلع الهامشية طوال اليوم لمساعدة أسرهم مما يعرضهم لانحرافات ومخاطر الشارع. (عن محمد سيد فهمي،2001)

يرى العيسوي (1993) أن استخدام الأطفال في الأعمال المختلفة قبل أن يتم نموهم، يترتب على تشغيلهم في سن مبكرة وفي أعمال شاقة إعاقة نموهم الجسماني والحيلولة بينهم وبين الحصول على تعليم أساسي. يشير عبد الرحمن عسيري (2001) بأن انتشار الفقر يجعل بعض الأسر تضحي بأي شيء حتى أطفالها من أجل الحصول على لقمة العيش اليومية. كما أن استخدام الكحول والمخدرات داخل الأسر ساهم في زيادة مشكلة العنف العائلي والتفكك الأسري، كما ساهم في زيادة تعذيب الأطفال واستغلالهم من قبل أسرهم إما تحت تأثير تلك المؤثرات، أو بهدف التخلص منهم، أو استخدامهم كوسائل لجمع المال.

في السياق نفسه، يشير رواد المدرسة الاقتصادية أن أسباب الانحراف الاجتماعي تكمن في سوء الحالة الاقتصادية التي تعود إلى الفقر والبطالة، حيث تشكل هذه الظروف المادية مناخات مهيأة للانحراف أو على الأقل فرصا تسهل للسلوك الجانح احتمال حدوثه. وضمن هذا الإطار، يؤكد الدكتور "جليل وديع شكور" في كتابه" أمراض المجتمع" (1998) مدى انعكاس الضغوطات الاقتصادية والمعيشية على أمراض المجتمع والجرائم كأعمال السرقة والاحتيال والرشوة والغش والتزوير والاتجار بالمخدرات وتشغيل الأطفال بسن مبكرة والسلوك اللاأخلاقي كالمتاجرة بالعرض.

ويضيف الباحث الفرنسي Selosse أن العوز المادي ليس كافيا بمفرده لتفسير انحراف الأحداث، بل هناك متغيرات خمسة تميز عائلات الجانحين بالمقارنة بعائلات غيرهم من الأحداث في نفس الحي البائس اقتصاديا في مدينة نانسي الفرنسية وهي: غياب الأب، سوء تفاهم الوالدين، البطالة وعدم الاستقرار المهني، الإدمان الكحولي في الأسرة والماضي الجانح لأحد الوالدين. (عن جليل وديع شكور، 1998)

2- الأوضاع الأسرية: تلعب الظروف والأوضاع الأسرية دورا مهما وأساسيا في انتشار ظاهرة أطفال الشوارع، وذلك باعتبارها الجماعة المرجعية للطفل التي تكون شخصيته. كما أنها المؤسسة التي تلبي احتياجاته وإدماجه في إطارها الثقافي. وينتمي أطفال الشوارع غالبا إلى الأنماط الأسرية

ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض التي عادة ما تعاني من انخفاض والتعليم والوعي التربوي والقصور في الرعاية الاجتماعية والصحية للأبناء، هذا إلى جانب عوامل أسرية تساعد على تفاقم الظاهرة أهمها: (عن محمد سيد فهمي،2001)

- تفكك الأسرة إما بالطلاق أو الهجر أو وفاة احد الوالدين.
- كبر حجم الأسرة عن الحد الذي يعجز فيه الآباء عن توجيههم وتلبية احتياجاتهم.
- ارتفاع كثافة المنزل إلى درجة نوم الأبناء مع الوالدين في حجرة واحدة.
- الخلافات والمشاحنات المستمرة بين الزوجين.
- قسوة الوالدين على الأبناء يدفعهم إلى الهروب من المنزل والانضمام إلى أصدقاء السوء.

وفي نفس السياق، أجرى كل من حسن خشيفي وإسماعيل زادح (2003) بدراسة ميدانية على عينة من أطفال الشوارع بمدينة مشهد (إيران)، ومن أهم الخصائص التي تميز أسر هؤلاء الأطفال ما يلي:

- تدهور الوضعية الاقتصادية للأسر.
- انفصال الوالدين بنسبة 56.30% من الحالات بسبب الفقر وإدمان المخدرات والكحول، وارتكاب الجرائم خاصة من طرف الأب.
- إعادة زواج الأولياء أو احدهما.
- أولياء على قيد الحياة لكنهم مدمنين على الكحول والمخدرات خاصة الأب.
- وجود سوابق عدلية للأولياء خاصة الأب بسبب السرقة، المشاجرة، الإدمان والاتجار في المخدرات وإدمان الكحول.

كما أوضحت دراسة قامت بها هنيقان (Hanigan.P ; 1997) أن من جملة الخصائص التي تميز أسر أطفال الشوارع ما يلي:

- أسر تعاني من توترات وصراعات كبيرة.
- الرفض العائلي للأبناء وسوء المعاملة (النقد، التخلي والإهمال).
- اضطراب العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء.
- – تعرض الأطفال للعنف الجسدي، والنفسي والجنسي.
- تفكك الأسرة وعدم تلبية حاجات الطفل للرعاية والاهتمام.
- انهيار القيم والمعايير الاجتماعية في الأسرة وزنى المحارم.

وتلخص الباحثة هنيقان (Hanigan.P ; 1997) علاقة عدم الاستقرار الأسري بظاهرة أطفال الشوارع في المخطط التوضيحي التالي:

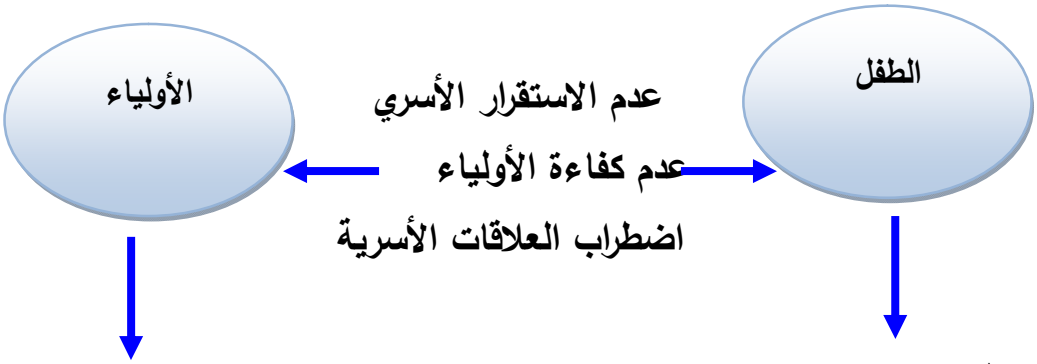

النتائج

- **تأخر عقلي**
- **أمراض مزمنة**
- **اضطرابات سلوكي**

السوابق: التعرض

- **للإساءة والاعتداء**
- **للرفض والإهمال الأسري**

سمات الشخصية:

- **عدم النضج الانفعالي**
- **مفهوم ذات سلبي**
- **العزلة والانطواء**
- **سرعة الغضب وضعف القدرة على ضبطه**

نواحي تربوية:

انتهاج أسلوب العقاب البدني لمعالجة المشكلات السلوكية للأبناء

الضغوط المعاشة:

الفقر،البطالة،إدمان الكحول، عدم التوافق ألزواجي.

شكل رقم (01): العوامل الأسرية المرتبطة بتهميش الأطفال وسوء معاملتهم

يؤثر كل من الأبوين تجاه الآخر على صحة الطفل النفسية، ذلك أن معظم الأطفال الذين يلجئون إلى الهروب يأتون من منازل تكثر فيها المشاجرات الزوجية أكثر ممن يأتون من منازل فيها العلاقات الأسرية سوية وسليمة، ومن دواعي تفكك الروابط الأسري مشاجرات الوالدين، التي قد تكون إحدى أسبابها سوء الحالة الاقتصادية، أو عجز أحد الوالدين أو كليهما نفسيا على مقابلة تبعات تربية الأبناء وتنشئتهم، وهذا كله يجعل جو المنزل جوا ثقيلا لا يطاق، فيهرب منه الطفل

إلى الطرقات والشوارع، وتبدأ هناك سلسلة من الانحرافات غير المرغوب فيها.(عن وفيق صفوت مختار،1999)

3- **العوامل المجتمعية:** هناك العديد من العوامل المجتمعية التي تؤدي إلى زيادة مشكلة أطفال الشوارع من أهمها:

- **نمو وانتشار التجمعات العشوائية:**

والتي تمثل البؤر الأولى والأساسية المفرزة والمستقبلة لأطفال الشوارع، حيث يجد الطفل البيئة الخصبة لتعلم الانحراف والانضمام إلى العصابات المنظمة. (عن محمد سيد فهمي،2001)

- **التسرب من التعليم:** يعتبر من مظاهر الخلل في العملية التعليمية المنوط بها مساعدة الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وتفتح وعي وإدراك الطفل بالمعلومات المختلفة في شتى مجالات المعرفة، ولذلك فان كثرة الثغرات وزيادة المشكلات في النظام التعليمي أدت إلى تفاقم المشكلات التعليمية خاصة على أطفال الفئات الدنيا التي لم تستطع مواجهتها إلا بسحب أطفالها من هذا النظام، ودفعهم إلى سوق العمل والشارع.ومن هذه المشكلات: ارتفاع تكاليف التعليم، ضعف القدرة الاستيعابية للمدارس، عدم تلاؤم المنهج مع احتياجات الطفل وأسرته، سوء العلاقة بين الطالب والمدرسة وما تمثله من عنف وقسوة، الدروس الخصوصية وإجبار التلاميذ عليها، كل ذلك جعل من المدرسة تتحول من عامل جذب التلميذ إلى عامل طرد له. (عن محمد سيد فهمي،2001)

تؤكد الأبحاث الميدانية التي تناولت بالدراسة ظاهرة أطفال الشارع، سواء في المغرب أو في باقي دول العالم الثالث، أن غالبية أطفال الشارع إما أنهم أميون، أو انقطعوا عن الدراسة في سن مبكرة، كما أن معظم آباء أطفال الشارع من الأميين.

أسفرت الدراسة الميدانية التي أجريت بمدينة فاس المغربية، والتي تشير إلى أن حوالي 50% من أطفال الشوارع لم يستفيدوا من أي شكل من أشكال التمدرس، ولا في الكتاب ولا في المدرسة الابتدائية العمومية، كما يتوقف التعليم بالنسبة لـ35% على عتبة السنة الرابعة أساسي. وطردوا من المدرسة قبل أن تترسخ فيهم آليات الكتابة والقراءة بشكل جيد، فحسب هذه الدراسة 80% من أطفال الشوارع أميون. (عن عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001). كما تبين من بحث ميداني أجرته الجمعية المغربية لمساعدة الأطفال ذوي الحالة غير المستقرة بمدينة الرباط (1997)، أن 46% من أطفال الشارع لم يسبق لهم أن دخلوا المدرسة، وان 45% من هؤلاء الأطفال تركوا المدرسة في السنوات الأولى من الدراسة حيث لم يتعدوا السنة الثالثة ابتدائي. (عن

محمد عباس نور الدين، 2002) كما أسفرت نتائج الدراسة الأولية التي قامت بها كتابة الدولة المكلفة بالرعاية الاجتماعية والأسرة والطفولة بالمغرب (1999) أن نسبة 50% من أطفال الشوارع بمدينة تطوان هم من الأميين، وان 45% انقطعوا عن الدراسة في السنوات الأولى من التعليم الأساسي، أما نسبة الأمية لدى آباء هؤلاء الأطفال فتبلغ 94.54%.(عن محمد عباس نور الدين، 2002)

ومن الخصائص النفسية الاجتماعية لأطفال الشوارع حسب المجلس الوطني لإسعاد الأطفال بمدينة بنغالور الهندية، هم في غالبيتهم من الأميين ولا مأوى لهم، ويعيشون في الشارع، وقد فروا من منازلهم، ولم يحاولوا العودة إليها، وكانوا يجمعون الفضلات من صناديق القمامة لسد رمقهم. (عن محمد عباس نور الدين، 2002)

- **تفاقم مشكلة الإسكان وعدم توافر المسكن الصحي:** عدم تناسب السكن مع حجم الأسرة، وافتقاده للمرافق والخدمات الأساسية يمثل عاملا محفزا لارتفاع نسبة المشكلات الاجتماعية كالإجرام وتشرد الأطفال والطلاق والمشاجرات العائلية.
- **ارتفاع نسبة البطالة بين أرباب الأسر:**

يؤدي إلى عدم إشباع الاحتياجات الأساسية لأفراد الأسرة مما يجعل الوالدين يدفعان بأبنائهم إلى ممارسة أعمال التسول أو التجارة في بعض السلع الهامشية طوال اليوم، وأحيانا أخرى يتعرض هؤلاء الأطفال للقسوة والحرمان الشديدين من أسرهم مما يجعلهم يهربون منها إلى الشارع، فيتعرضون لمختلف أساليب الاستغلال والعنف والانحراف. (عن محمد سيد فهمي،2001)

- **الحروب الأهلية:** والتي نتج عنها أطفال بدون اسر تحميهم وترعاهم، مما جعلهم يهيمون على وجوههم في الشوارع يبحثون عن وسيلة للبقاء على قيد الحياة.

الجفاف والمجاعة والكوارث الطبيعية: وهي عوامل طبيعية تؤدي إلى تفكك الأسر، وتشرد الأطفال، ومعيشتهم بدون مأوى يحميهم من أخطار الحياة، مما يجعلهم يتعرضون لمختلف أنواع الاستغلال والانحراف.

السؤال الثالث: وعندما يتخذ الطفل قرار عدم العودة إلى البيت الأسري، ماذا يفعل هذا الطفل في الشارع، إلى أين يذهب، كيف يعيش، كم وقتا سيبقى خارجا؟

أوضحت الدراسة التي أجراها محمد سيد فهمي (2001) أن الأوضاع المعيشية لأطفال الشوارع تمثلت في الآتي:

1- الأعمال التي يمارسها أطفال الشوارع:

- القيام ببعض الأعمال الهامشية التي تدر عليهم بعض الربح بأسلوب غير منتظم مثل تلميع الأحذية، وغسل السيارات وبيع الزهور.
- الانضمام إلى العصابات الإجرامية التي تتولى النشل والسرقة وتوزيع المخدرات وتسهيل الدعارة.
- ممارسة التسول أما الجوامع وفي الأماكن المزدحمة.
- جمع القمامات والمخلفات كالورق المستعمل، والقماش الممزق، والزجاجات والعلب الفارغة وأكوام النفايات وبيعها إلى التجار لإعادة استخدامها.
- مسح زجاج السيارات في إشارات المرور، أو داخل مواقف السيارات بين المناطق المختلفة.
- العمل كبائعين متجولين في وسائل النقل العام.
- بيع العلك والمصاحف والمناديل الورقية والكبريت في الشوارع والمادين.
- جمع بقايا الخضروات والفاكهة من الأسواق الكبيرة، ثم إعادة بيعها لحسابهم مرة أخرى.
- غسيل الأطباق وتنظيف أرضية المطاعم في مقابل أكل الفضلات وجمعها.

وفي السياق نفسه، أسفرت الدراسة التي أجراها كل من حسن خشيفي وإسماعيل زادح (2003) أن أهم النشاطات التي يمارسها هؤلاء الأطفال في الشارع للحفاظ على الحياة والعيش هي: مسح الأحذية، تنظيف السيارات، التسول، السرقة، التجارة في المخدرات وحمل بضائع المتسوقين.

– أماكن تواجدهم صباحا: في مواقف السيارات، في إشارات المرور، الحدائق العامة، بجوار، المساجد، في مواقف وسائل النقل العام، في محطات السكك الحديدية وحولها وفي الشوارع الجانبية للفنادق.

– الأماكن التي يلجئون إليها للنوم: في الحدائق العامة، دخل المساجد أو بجوارها، حول النافورات، في الميادين العامة، في المنازل المهجورة والخرائب وعلى أرصفة الشوارع في لمناطق السكنية.

– الأساليب التي يحصلون منها على الطعام: تناول الأكلات الشعبية الرخيصة ويدفعون ثمنها من قيمة ما كسبوه طوال اليوم، تناول بقايا الطعام في المطاعم مقابل غسيل الأطباق وتنظيف الأرضية وتناول بقايا الطعام من القمامة الموجودة في الشوارع.

2- الانضمام لجماعة العصابات:

أسفرت الدراسة التي أجراها كل من حسن خشيفي وإسماعيل زادح (2003) أن نسبة 60% من أطفال الشوارع ينضمون لعصابة معينة بسبب الحرمان العاطفي والوحدة النفسية وتلبية الحاجة إلى الانتماء والاستفادة من خبرة الأقران.

فالعيش ضمن جماعة العصابات تمنح للطفل القدرة على التكيف مع الظروف القاسية للشارع، حيث تمنح هذه الجماعة مكانة للطفل الجديد تدريجيا ويرتبط ذلك بمجموعة من العوامل وهي:

- القدرات الجسدية والنفسية للطفل.
- إعطاء للطفل تسمية جديدة (surnom) وفق خصائصه الجسدية والنفسية.
- تدفعه لارتكاب بعض المخالفات والسرقات الصغيرة مثل سرقة مواد غذائية أو السجائر.
- تدفعه لارتكاب سرقات أكبر مثل سرقة المارة (الاعتداء على المارة بالسلاح الأبيض) والمحلات التجارية.
- تدفعه لتناول المخدرات والكحول (غراء، أقراص، حشيش، أفيون).
- تدفعه للانحرافات الجنسية من خلال الاغتصاب الفردي والجماعي لهذا الطفل، وممارسة الجنسية المثلية فيما بعد.

ومع مرور السنوات التي يقضيها الطفل ضمن هذه العصابة وتجاربه في الشارع تضمن له مكانته ضمنها.

السؤال الرابع: ما هي الخصائص النفسية الاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع؟

أوضحت الدراسة التي أجراها محمد سيد فهمي (2001) ودراسة كل من حسن خشيفي وإسماعيل زادح (2003) عن الخصائص النفسية الاجتماعية لأطفال الشوارع ما يلي:

- **حب التملك والمساواة مع الآخرين:** فطفل الشارع محب جدا للتملك، ومتطلع إلى المساواة من أطفال الشارع الآخرين.

- **الشغب والعند والميول العدوانية:** معظم أطفال الشوارع لديهم نوع من العدوانية، بسبب فقدانهم الحب والعطف الأسري، كما أن بيئة الشارع تفرض عليهم حرب البقاء للأقوى، ومع الوقت يتعلمون بالخبرة أن العنف هو لغة الحياة في الشارع.

- **الانفعال الشديد للطفل والغيرة الشديدة:** فالحياة في نظر الطفل لعب وأخذ، وهما الشيئان اللذان فشل في الحصول عليهما من أسرته التي افتقدها.

– **التمثيل:** وهي تعتبر من الوسائل الدفاعية ضد الأخطار، أو حين القبض عليهم.

– **التشتت العاطفي:** يعاني أطفال الشوارع من التقلب النفسي والاجتماعي بسبب الآثار النفسية التي ترتبت على شعورهم بالحرمان، والظروف الاجتماعية الصعبة التي يواجهونها.

– **عدم التركيز:** مستوى أطفال الشوارع الدراسي ضعيف جدا، فمنهم من لم يلتحق بالتعليم، ومنهم من تسرب من الدراسة مبكرا، وهم لا يستطيعون التركيز في أي حديث قد يكون طويلا، وتبدو عليهم كثرة الحركة.

– **ليس لديهم مبدأ الصواب والخطأ:** يفتقد أطفال الشوارع الضبط الخارجي عليهم من الأب أو الأم نتيجة هروبهم من الأسرة كما يفتقدون أيضا الضبط الداخلي الذي يتولد لديهم من الخبرة الذاتية، حيث يهيمون على وجوههم حسب الظروف التي يفرضها عليهم الشارع.

– **القيم المتناقضة:** يحمل هؤلاء الأطفال قيما متناقضة يغلب عليها المرح أحينا والعنف أحيانا أخرى، وهناك من يغلب عليه الكذب والخصوصية أو المنفعة واللذة، وكلها قيم تكتسب من خلال مواقف حياتية يومية تحفها المخاطر والاستغلال.

– **اضطراب الصحة الجسدية والإصابة بالأمراض:** الإصابة بالجرب، وهو مرض منتشر بشدة بين أطفال الشوارع بسبب القذارة المستمرة وعدم الاستحمام وتغيير الملابس ويتولد عنه القرح والالتهابات الجلدية.

الشذوذ الجنسي بين الأطفال: أطفال الشوارع ينامون ملتصقين بجوار بعضهم البعض للحصول على الدفء من برد الليل، مما يولد لديهم الشعور باللذة في ممارسات جنسية شاذة تستمر يوميا حتى يتعود كل منهم عليها.

– **الاغتصاب الجنسي لأطفال الشوارع:** وعادة ما يتم هذا الاغتصاب من خلال عمل الطفل المعلمين الكبار في الشوارع أو الورش، حيث يستغل الكبار المنحرفين جنسيا ضعف هؤلاء الأطفال ويغتصبونهم تحت التهديد. وقد يستغل الرجال الشواذ جنسيا ظروف أطفال الشوارع بإغرائهم ماديا في ممارسة الشذوذ معهم بأجر.

– **السرقة وتوزيع المخدرات:** يقوم بعضهم باستغلالهم وإغرائهم بالمال لسرقة الأشخاص والمحلات وتوزيع المخدرات، وتسليم المسروقات إلى الذين يتولون تصريفها في مقابل مبالغ زهيدة للأطفال، أو في مقابل إيوائهم وإطعامهم.

- ومن الناحية النفسية، يعاني هؤلاء الأطفال من الاضطرابات التالية:

* اضطرابات الشخصية خاصة القلق والاكتئاب.
* تواتر احتمالية الانتحار.
* الشعور بالخوف واليأس مع تقدر العمر.
* ينظرون للمجتمع بأنه ظالم وغير عادل.
* الشعور بالشك وعدم الثقة.
* الحرمان العاطفي والشعور بالوحدة النفسية.
* ممارسة العنف والسلوكيات العدوانية يوميا (بحوزتهم سلاح أبيض للدفاع عن النفس أو لارتكاب السرقة، المشاجرات، تدمير الممتلكات، التحرش وتهدي المارة...الخ).
* التدخين وتعاطي الكحول والمخدرات لأنها تهدئ من الشعور بالوحدة والاكتئاب والتخفيف من آلام البرد والجوع وتشجع على ارتكاب الأعمال المنحرفة.
* الانحرافات الجنسية (المثلية والاغتصاب).

أثبتت الدراسات الميدانية أن غالبية أطفال الشوارع يعانون ويتألمون من واقعهم وبيئتهم المتدهورة، حيث يمتصون آلامهم في بدايات عمرهم، ولكنهم يستعدون لإفراز سمومهم في وجه المجتمع فيما بعد، ويشعرون بالظلم ولا يستطيعون دفع هذا الظلم فيحملون داخلهم الغضب ويبثونه إلى مجتمعهم في شكل حقد وعدوان وكراهية.

السؤال الخامس: ما هي عواقب وخطورة ظاهرة أطفال الشوارع على الفرد والمجتمع؟

هناك العديد من المشاكل والسلبيات والمخاطر التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال والتي تنعكس على المجتمع بأسره وأهمها:

1- التسرب وعدم الالتحاق بالتعليم: مما لا شك فيه أن من أكثر الآثار وضوحا التي تقع على هؤلاء الأطفال باختلاف أنماطهم هي حصرهم في مجال الأمية أو التعليم المنخفض، إذ عادة ما يفقد هؤلاء الأطفال إلى الرعاية الأسرية المشجعة للاستمرار في التعليم أو الالتحاق به، لأن هؤلاء الأطفال عادة ما ينتمون إلى أسر مفككة فقيرة غير سوية مما يساعدهم على الهروب، أو عدم الالتحاق بالتعليم نهائيا ويكون الشارع ملاذهم.

أسفرت الدراسة التي أجراها كل من حسن خشيفي وإسماعيل زادح (2003) أن نسبة 71% من أطفال الشوارع لعينة دراستهم ذوي مستوى تعليمي ابتدائي ونسبة 18.8% من فئة

الأميين، وتدني المستوى الدراسي لديهم يرجع لعدم الرغبة في التمدرس أكثر من ارتباطها بالأحوال الاقتصادية.

2- الاستغلال الجنسي: أخطر ما يتعرض له أطفال الشوارع هو الاستغلال الجنسي سواء من العصابات أو الأفراد المستغلين ضعفهم لصغر سنهم وعدم قدرتهم على مواجهة الإساءة الجنسية سواء من قبل مرتكبها أو من الوسطاء. وقد أفادت العديد من الدراسات أن الآلاف من الفتيات الصغيرات من أطفال الشوارع في العديد من البلدان يعملن على إشباع رغبات الرجال من البلد نفسه أو البلدان الأخرى.

وقد أفادت العديد من الدراسات والبيانات وجود صلات مباشرة عديدة بين الاستغلال الجنسي وأطفال الشوارع، حيث يساعد على هذا تدني ظروفهم الاجتماعية وافتقارهم للرعاية الأسرية التي تجعلهم غير واعين لمدى خطورة هذه الممارسات. وتؤدي الممارسات الجنسية إلى تعرض الأطفال للعديد من المخاطر الصحية بما في ذلك الإصابة بالأمراض النفسية، والإصابة بنقص المناعة المكتسبة (الايدز)، والأمراض التناسلية، وحالات الحمل غير الشرعي، وإدمان المخدرات، إضافة إلى ذلك يصبح هؤلاء الأطفال رهائن لواقع مشوه يسود فيه الضعف وفقدان الثقة بالآخرين والإحساس بالعار والنبذ من قبل المجتمع. (عن محمد سيد فهمي،2001)

أسفرت الدراسة التي أجراها عبد الغني عبد الله (2009) بعنوان ظاهرة الإساءة الجنسية للأطفال، حيث استهدفت معرفة أنماط الإساءة الجنسية الواقعة على الطفل في المجتمع المصري بأن فئتي أطفال الشوارع والأطفال العاملة هم أكثر الفئات تعرضا للإساءة الجنسية. (عن اعتماد خلف سعيد وآخرون ، 2012).

3- مخاطر الطريق: يتعرض هؤلاء الأطفال للعديد من مخاطر الطريق مثل حوادث السيارات بسبب تجولهم المستمر في الشارع من أجل التسول أو بيع السلع التافهة، وركوب أسطح القطارات للتهرب من دفع ثمن التذكرة مما يعرضهم للسقوط من فوقه.

4- التعرض للأمراض: يتعرض أطفال الشوارع للعديد من الأمراض مما يجعلهم يعيشون في آلام مستمرة دون علاج حتى يصلوا إلى مرحلة الصراخ من الألم أو الموت، وتتلخص هذه الأمراض في الآتي: التسمم الغذائي، الجرب، التيفود، الملاريا، البلهارسيا، الأنيميا، السعال المستمر وتعب الصدر وتقيحات الجروح. وتتركز أسباب انتشار معظم هذه الأمراض في عدم النظافة أو الاستحمام، الأكل من القمامة والاستحمام في الترع والمصارف.

يشير تقرير اليونيسيف إلى أن عمل الأطفال يضعف مقاومة أجسامهم للأمراض وتقلل من فرص الحياة لهم لعدم التوازن بين حاجات الطاقة لديهم وقيمة السعرات الحرارية للطعام الذي يتناولونه. (عن عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001)

5- مخاطر استغلال العصابات: إن استقطاب المجموعات الإجرامية المنظمة والإرهابية لهؤلاء الأطفال تمثل خطورة بالغة عليهم وعلى المجتمع بوجه عام، حيث تتخذ هذه العصابات من هؤلاء الأطفال أدوات سهلة ورخيصة للأنشطة غير المشروعة سواء باستخدامهم كأدوات مساعدة في الترويج والتوزيع للممنوعات، أو إحداث الاضطرابات والعنف أو استغلالهم في الأعمال المتصلة بالدعارة والفسق.

السؤال السادس: هل ظاهرة أطفال الشوارع تعبر عن نداء استغاثة أم أنها مؤشر يدل على قطيعة اجتماعية؟

إن الشارع بطبيعته، هو مكان عمومي مخصص للمواصلات سواء من طرف الراجلين أو العربات أو الدرجات، وبالتالي فلا مكان للطفل في الشارع. وإن عبارة أطفال الشوارع تعني في نظر الجماعة الأطفال اللذين حرموا من الوالدين، أو رعايتهما، وبالتالي حرموا من المدرسة حيث لم يعودوا يتوفرون على أية حماية ويتعرضون للانحراف.

إن أطفال الشارع غالبا ما يعانون من شعور دائم بالخوف وانعدام الأمن، ويعتبر بحثهم عن الأمن من أهم العوامل التي دفعتهم إلى مغادرة أسرهم التي لا توفر لهم هذا الشعور، و لا تضمن لهم الحد الأدنى من الشروط لإشباع حاجياتهم ورغباتهم، لذلك استسلم هؤلاء الأطفال إلى فضاء الشارع ومخاطره. وهذا ما جعل عالم النفس الفرنسي (لاكان) يعتبر جنوح الأحداث في الشارع بمثابة حوار عنيف مع الآخر يحاول الحدث من خلاله انتزاع الاعتراف به كإنسان، وهذا ما يفسر لنا بعض سلوكات لا مبرر لها وتعكس رغبة مجانية في الاعتداء والتخريب وإثارة الفوضى وكل هذه السلوكات بمثابة خطاب موجه للآخرين للاعتراف به كإنسان لا يختلف عن غيره من البشر. (عن Meyrs, 1990) وهذه النزعة التدميرية لدى أطفال الشارع هي انعكاس للقلق الذين يعانون منه بسبب إقصائهم وتهميشهم، إقصاء من طرف أسرهم التي نبذتهم أو تخلت عنهم أو أهملتهم أو تعمدت دفعهم إلى الشارع. وتهميش من طرف المجتمع الذي لا يأبه لوجودهم في الشارع حيث لا يشعرون بالأمن ويتوقعون المطاردة والاعتداء في أية لحظة. (عن محمد عباس نور الدين، 2002) على العموم يفتقد أطفال الشوارع كل مقومات النمو السليم، فهم محرومون من أبسط

الحقوق، ويعانون من أشكال مختلفة من الضياع والحرمان والاستغلال والعنف، فهم مظهر صارخ للتهميش والإقصاء الاجتماعي. (حلمي سعيد، 2001)

وترتبط الظاهرة بقضايا كبرى ومصيرية كالفقر ومضاعفاته، تفكك الأسرة وانعكاساتها على الأطفال، الانتشار الرهيب للامية، ضعف التمدرس والهدر المدرسي. إن أطفال الشوارع ضحايا الأسرة والمجتمع بكل المقاييس، وخروجهم للشارع لم يأت بمحض الصدفة، بل هو تعبير عن تقاطع ضغوط حادة فقدت فيها الأسرة شروط الحفاظ على أطفالها.

ويرى عبد العزيز بن صقر الغامدي أن سوء المعاملة التي يتعرض لها قسم كبير من الأطفال ينعكس سلبا على مستقبلهم وحياتهم مثلما يتضرر منها المجتمع الذي ينتمي إليه، إن الحدث المنحرف اليوم هو غالبا ما يكون المجرم غدا.

ويضيف ذياب موسى البداينة أنه نظرا للضغوط الحياتية الملقاة على عاتق الأسرة الحديثة، فقد أدت إلى خلل في وظائفها الاجتماعية فخرج الأطفال إلى الشوارع، وتسرب كثير منهم من المدارس وجنح البعض الآخر واستغل الأطفال في أنشطة غير مقبولة اجتماعيا وأخلاقيا أهمها استغلال الأطفال للعمل والاستغلال غير الأخلاقي. إن الأذى الذي يلحق بقطاع الطفولة لا يتوقف عند الأطفال وحدهم، بل يصيب التنمية الاجتماعية ذاتها. (عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001) **من هنا يتجلى لنا بوضح أن انتشار الظاهرة تعبر عن نداء استغاثة وقطيعة اجتماعية في آن واحد.**

الاستنتاج العام والتوصيات:

تعد الأسرة أول جماعة مرجعية يتفاعل معها الفرد بشكل مباشر، لأنها تحتضن الفرد في سنواته الأولى ومنها تتشكل شخصيته، وتتكون لديه البنى والتراكيب النفسية والاجتماعية، ومنها يتعلم ويكون نظام القيم وقواعد السلوك التي تشكل معايير وأطر مرجعية في سلوكه وأفعاله. إلا أن الأسرة لم تعد كذلك، فقد ساد فيها الكثير من سلوكيات العنف والإساءة المتبادلة بين أفرادها والإهمال، والتي أكثر ضحاياها صغار السن.

والإهمال شكل من أشكال الإساءة الواقعة على الأطفال منها: الإهمال الجسدي، ويتمثل في عدم توفير الرعاية الضرورية للطفل وسوء التغذية، وعدم تقديم الطعام، وعدم الاهتمام بملابسه ونظافته. والإهمال النفسي، ويتمثل في عدم إحساس الطفل بالحنان والدعم النفسي، والتعزيز والتشجيع من قبل الوالدين أو الآخرين، وكذلك عدم الاهتمام بمشاعر وعواطف الطفل النفسية.

والإهمال التربوي، ويتمثل في عدم توفير فرص التعليم المناسبة وكل ما يحتاجه الطفل تربويا، مما يؤدي إلى كره الطفل المدرسة والهروب منها. (عن ذياب موسى البداينة ومنال أدلمة عبد الشقور ،2002)

ظاهرة أطفال الشوارع واحدة من القضايا التي تواجه العديد من الدول منها الأقطار العربية، فهناك أطفال بلا مأوى، بيتهم الشارع. ويعاني هؤلاء الأطفال من عدد كبير من المشاكل فهم غالبا شبه أميين، إذ يصل الطفل فيهم إلى الصف السادس وهو لا يزال يجهل القراءة والكتابة. والعوامل الأساسية المؤثرة في هؤلاء الأطفال هي الجهل والفقر والتفكك الأسري. التفكك الأسري يعود لهجر الأب زوجته وأطفاله أو تعدد الزوجات أو الطلاق أو وجود زوجة أب قاسية مما يدفع الأطفال إلى الشارع. وجاء في الاتفاقية الدولية عن حقوق الطفل أن للأطفال المشردين حق في الحماية وهي ما جاءت به المادة 20 تحت بند حماية الطفل فاقد الأسرة إذ أن الدولة ملزمة بتوفير حماية خاصة للطفل المحروم من البيئة الأسرية وعليها توفير البدائل الملائمة لذلك منها رعاية المؤسسات المسئولة عن هذه الفئة. (عن عبد الرحمن عسيري وآخرون، 2001)

ومن الاقتراحات لمواجهة الظاهرة ما يلي:

– لا بد من إشراك مؤسسات المجتمع المدني، على اختلافها، بالمساهمة في الحد من الظاهرة، وليس بالإمكان الاعتماد فقط على الجهود الرسمية، إذ لا بد من تضافر جهود الجهات الرسمية وغير الرسمية في مواجهة الظاهرة.

– مشاركة أطفال الشارع في عمل منتج من شأنه أن يمنح للطفل تقديرا لذاته ويشكل حافزا هاما لنمو شخصيته وإعادة إدماجه في المجتمع. ذلك أن توفير العمل لأطفال الشارع يخرجهم من وضعية الإقصاء والتشرد التي يعانون منها ويعيد ربط صلتهم بالمجتمع.

– أطفال الشوارع ليسوا منحرفين ولكنهم مرشحون للانحراف إذا لم نعالج حالتهم بشكل جدي وفوري.

– العمل في اتجاه إعادة الأطفال إلى أسرهم ومساعدة هذه الأسر للقضاء على أسباب التفكك والعوز وغيرها مما تكون وراء الدفع بالأبناء إلى التسكع في الشوارع.

– وضع برامج من أجل حمايتهم من التعرض لمزيد من الاستغلال بتوفير الخدمات الاجتماعية والصحية والتربوية لحماية حقوقهم.

– تحسين أوضاع أطفال الشوارع رهين بتحسين أوضاع أسرهم، وتوفير رعاية اجتماعية مؤسساتية للمحرومين من دفء الأسرة.

– دعم الجمعيات المهتمة بالطفولة في أوضاع صعبة.

– إنشاء مراكز متخصصة لاستقبال أطفال الشوارع على صعيد المناطق التي تستفحل فيها الظاهرة، خاصة بالنسبة إلى الأطفال المتخلى عنهم.

– تفعيل دور المرشد الاجتماعي لإدماج الطفل ضمن أسرته، والحد من ظاهرة الفقر ومظاهر التهميش والإقصاء الاجتماعي.

– تطوير شبكة الأجور والتعويضات العائلية لتجاوز عتبة الفقر.

المراجع العربية:

1- صادق الخواجا (2001):" **ظاهرة أطفال الشوارع في الأردن**"، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد01، صص 163- 184.

2- محمد سيد فهمي (2001):" **أطفال الشوارع، الأسباب والدوافع، رؤية واقعية**"، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد01، صص 139- 152.

3- حلمي سعيد (2001):" **عناصر مشروع خطة عمل لإدماج أطفال الشوارع في المغرب**"، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد01، صص 153- 162.

4- العيسوي عبد الرحمن (1993): **مشكلات الطفولة والمراهقة، أسسها الفسيولوجية والنفسية**، الطبعة الأولى، دار العلوم العربية بيروت.

5- آل سعود منيرة بنت عبد الرحمن (2005): **إيذاء الأطفال: أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له**، الطبعة الأولى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

6- عفيفي عبد الخالق محمد (1993): **الأسرة والطفولة، النظرية والتطبيق**، مكتبة عين شمس، لقاهرة.

7- عقل محمد عطا حسين (1997): **النمو الإنساني، الطفولة والمراهقة**، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض.

8- اعتماد خلف سعيد، محمود حسن إسماعيل وسارة طلعت عباس محمد (2012): **أثر معالجة قضايا المهمشين من الأطفال في عينة من الصحف العربية**، مجلة دراسات الطفولة، الاصدار56، المجلد15، صص 135- 139.

9- هادي مختار رضا (1999): **عدم الاستقرار الأسري، مجلة حوليات كلية الآداب** ، جامعة الكويت، المجلد19، العدد132، صص....

10- وفيق صفوت مختار (1999): **مشكلات الأطفال السلوكية، الأسباب وطرق العلاج**، دار العلم والثقافة، القاهرة.

11- عباس محمود عوض (1999): **المدخل إلى علم النفس النمو**، الطفولة-المراهقة- الشيخوخة، دار المعرفة الجامعية.

12- محمد عباس نور الدين (2002): **أطفال الشوارع، رؤية نقدية نفسية اجتماعية تربوية**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد16، العدد.32

13- عبد الرحمن عسيري، حاتم باباكر هلاوي، شبيب ذياب، محمد الدريج، أحمد بنعمو، مجاهدة الشهابي الكتابي (2001): **سوء معاملة الأطفال واستغلالهم غير المشروع**، الطبعة الأولى، أعمال ندوة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، لرياض.

14- شكور جليل وديع (1998): " **أمراض المجتمع**"، الدار العربية للعلوم، بيروت.

15- ذياب يوسف البداينة ومنال أدلمة عبد الشقور (2002): **العلاقة بين الخصائص الشخصية والأسرية لدى طلاب الجامعة أثناء الطفولة وأشكال العنف الأسري**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد24، العدد 48، صص 85-130.

16- حامد عبد العزيز الفقي (1984): **مفاهيم العلاج النفسي الأسري وأنماط التفاعل داخل الأسرة المريضة (النشأة والتطور)**، مجلة حوليات كلية الآداب، المجلد 5، العدد24،، جامعة الكويت، صص21-49

المراجع الأجنبية:

17- Hassan Kashefi et Esmail Zadeh (2003) : **les enfants des rues à Mashad (Iran), une approche criminologique**, Revue sauvegarde de l'enfance, vol 58, N 1-2, 20-32.

18- Hanigan, Patricia (1997) : **la jeunesse en difficulté, comprendre pour mieux intervenir**, Presse de l'université du Québec.

19- Meyrs, William (1990) :**services communautaires pour les enfants de la rue**, bureau international du travail,